الأهرام

المصدر: الشرق الاوسط
التاريخ: ٣ ربيع الثاني ١٤٠٧هـ

تقرير شامل عن نضال المسلمين ضد النظام العنصري بجنوب افريقيا:

مليون مسلم يواجهون حرب الابادة على يد حكومة بوتا

نداء إلى الأمة الاسلامية للمساندة ضد الظلم والاغتصاب

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

جدة ـ مكتب «الشرق الأوسط» ـ من عامر عبيد:

قبل ايام اقترفت السلطات العنصرية جريمة أخرى ضد المسلمين في جنوب افريقيا، فقد أطلقت الرصاص على المصلين، وأردت ثلاثة منهم قتلى. كما انها بعدئذ ومع تزايد مسيرات الاحتجاج، قامت باعتقال مدير مكتب الرابطة الاسلامية في جنوب إفريقيا، الدكتور مؤمنات مع ابنه وعدد من المسلمين.

ويقع مسجد «السلام» الذي وقع عليه الاعتداء اثناء تأدية المسلمين لصلاة العشاء، في منطقة أتلون من أعمال كيب تاون، حيث يقطن حوالي ثلث مجموع المسلمين في جنوب افريقيا. وهذا الاعتداء، واعتداءات أخرى عديدة في الآونة الأخيرة ضد المسلمين في جنوب افريقيا تدل على مشاركة المسلمين من سكان البلاد في الكفاح ضد النظام العنصري البغيض الذي تمارسه سلطات حكومة بوتا العنصرية.

وبالمناسبة فان عدد المسلمين ليس كبيراً بالمقارنة لمجموع السكان في البلاد، إذ أنهم لا يزيدون عن تسعمئة الف حسب تقديرات الشيخ عبد الحميد خيير، رئيس المجلس القضائي الاسلامي في جنوب افريقيا، ومع ذلك فان تأثيرهم أخذ بيدو واضحا على الساحة السياسية في البلاد، إلى الحد الذي لم تستطع معه وكالات الانباء الغربية التي كانت تتعمد تجاهل نضال المسلمين الاستمرار في هذا التجاهل.. بل إنها أخذت تطالعنا بتقارير تبرزهم كقوة لها شأن في التأثير على نظام بريتوريا العنصري، بل إن زعماء المسلمين أخذوا يقودون مسيرات الاحتجاج التي تجمع فئات من جميع قطاعات شعب جنوبي افريقيا.

يتركز المسلمون بالدرجة الاولى في ثلاث مقاطعات من جنوب افريقيا: ٢٠٠,٠٠٠ في مقاطعة الكاب (الراس) في أقصى الجنوب، والبقية في مقاطعة ترانسفالي بالوسط وفيها حوالي ٢٠٠ إلى ٢٥٠ الفا ثم مقاطعة ناتال على المحيط الهندي، أو بحر الزنج كما كان يعرف في الماضي، وفيها ما تبقى من المسلمين. وبالمناسبة هناك مقاطعة رابعة هي مقاطعة أورانج والمخصصة للبيض فقط. هذا ما افادنا عنه الشيخ عبد الحميد خيير رئيس المجلس القضائي الاسلامي في جنوب افريقيا وذلك لدى زيارته لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة مع السيد قطب الدين قاضي، نائب رئيس المجلس، ومعهما حسن سليمان، إمام مسجد كيب تاون الذي لا يستطيع العودة إلى جنوب افريقيا في الوقت الراهن، لأنه مطارد من قبل السلطات العنصرية.

بداية الصراع

لقد فرض النظام العنصري في جنوب افريقيا بشكل رسمي عام ١٩٤٩، من قبل الحزب الوطني الافريكاني، وكلمة «ابرتهيد» أو التمييز العرقي هي في الأصل كلمة افريكانية، ولغة الأفريكان تستمد معظم مفرداتها من اللغة الهولندية. أما المعنى السياسي للكلمة فهو السيطرة الكاملة للعنصر الأبيض على كل مقومات الحياة في البلاد. ولو عدنا إلى الوجود الهولندي فانه بدأ عام ١٦٥٥م، عندما احتلت قوة هولندية مقاطعة الكاب (الراس). والمعروف أن هولندا كانت في ذلك الحين تستعمر اندونيسيا، وكانت تنفي المناضلين ضد وجودها في ذلك البلد الآسيوي المسلم إلى منطقة الكاب في جنوب أفريقيا، وعليه يمكن اعتبار بداية النضال ضد الاستعمار الهولندي، في جنوب افريقيا منذ ذلك الوقت. ومادام الذين كانت تستجلبهم السلطات الاستعمارية الهولندية إلى هذا الجزء الافريقي من المناوئين لوجودها فانهم أنفسهم كانوا من أوائل الداعين إلى مكافحة الاستعمار نفسه في جنوب افريقيا، وعليه فان نضال المسلمين كان ضد الاستعمار الهولندي، ثم من بعده الاستعمار الانجليزي، وبالتالي سياسة التمييز العنصري التي كانت قائمة بشكل أو بآخر منذ عام ١٩١٠ عند إعلان قيام إتحاد جنوبي افريقيا. لكنه قلما ورد ذكر المسلمين في سرد أحداث الكفاح ضد النظام العنصري، وسبب ذلك، كما قال الشيخ عبد الحميد خيير هو «تعمد وكالات الانباء تجاهل النضال الاسلامي إلى جانب نضال السود، سكان البلاد الأصليين» وأضاف: «لكن الحقيقة ان المسلمين قدموا المئات من الضحايا في نضالهم ضد النظام العنصري إلى جانب إخوانهم السود، لكن التجاهل كما يبدو كان متعمدا لعدم اظهار صمود هذا النضال. وليس مستبعدا أن يكون جزء من الحملة العالمية التي يقودها أعداء الدين الاسلامي ضد الأمة الاسلامية».

سياسة فرق تسد

إن سياسة «فرق تسد» هي القاعدة الرئيسية التي تعتمد عليها الأنظمة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الاستعمارية ضد الشعوب المستعمرة. وهي السياسة نفسها التي يطبقها النظام العنصري. وعليه فقد قسم المجتمع في جنوب افريقيا إلى فئات متعددة، حسب ألوان بشرتها. وجعل العنصر الأبيض سيداً عليها. وقد فصل بين السود الذين يكونون غالبية السكان وبين الملونين الذين هم خليط من السود والآسيويين والبيض غير الأوروبيين، وكذلك بين الملونين وبين الآسيويين من العنصر الهندي. وفوق ذلك كله استولى على جميع مصادر الثروة بما فيها الأراضي، وحرم الأغلبية السوداء ومعها الملونين والهنود من الاشتراك في الانتخابات البرلمانية العامة. ووضع السود في الأماكن القريبة من المدن في أحياء خاصة فقيرة، تنعدم فيها شروط الحياة الانسانية الصحيحة ووضعت الغالبية المتبقية فيما يعرف باسم «بونتونات» وترك أمر إدارتهم لمجلس تشريعي واحد يتم انتخاب أعضائه من قبل السود أنفسهم. وجعل للملونين مجلسا من ستين عضوا يتم انتخاب ٤٠ منهم، أما الباقون فينصبهم النظام العنصري.

وهناك مجلس للهنود من ثلاثين عضواً يتم انتخابهم. إلا ان هذه المجالس لا تتمتع بأية سلطة تجاه السياسة العامة في البلاد، كما ان الشخص الاسود أو الملون لا يحق له حتى دخول المدينة التي يسكنها الأبيض إلا بعد الحصول على تصريح خاص بذلك.

وعلى الرغم من سياسة التفرقة والتشتت هذه فقد أدرك الشباب في جميع الفئات من السود، والملونين، والهنود، والمسلمين من بين جميع الفئات المذكورة آنفا، انه يجب ان تجمعهم جبهة واحدة، تنظم كفاحهم ونضالهم ضد النظام العنصري، وتبرز فعاليات النضال. فتكونت الجبهة الديمقراطية المتحدة التي تعتمد في عضويتها على الشباب والطلبة، وبالفعل فان الاضطرابات التي شهدتها الساحة في جنوب افريقيا كانت قد انطلقت في بدايتها من حصون الطلبة وذلك احتجاجا على السياسة التعليمية.

فقد كانت بداية الانتفاضة في عام ١٩٧٦ من قبل الطلبة، عندما خرجوا للاحتجاج ضد إستخدام اللغة الافريكانية في المدارس. كما ان الطلبة أنفسهم هم الذين فجروا الثورة ضد النظام العنصرى في جنوب افريقيا قبل

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

عشرين شهرا، آحتجاجا على الجود والسياسة الظالمة في التعليم والتي تشكل جزءا من السياسة العنصرية الاستبدادية. وفي هذا الصدد اعترف الشيخ عبد الحميد خيبر بأن الجيل السابق من المسلمين لم يكن نشطا وفعالا بالدرجة الملحوظة، لأنه كان منهمكا في تحصيل الرزق. كما أن ارتفاع نسبة الجهل والأمية بينهم كان من أسباب تقاعسهم، وأضاف: «لا ننسى أن معظم الذين أحضروا من أندونيسيا كانوا من العمال للعمل في مزارع المستعمرين البيض، ولذا استمروا على جهلهم حتى وقت ليس ببعيد. وفي الحقيقة أن هذا التقاعس انعكس كذلك على الدعوة الاسلامية، لأنه كان الأجدر بالمسلمين أن يسرعوا بالدعوة للاسلام بين القبائل الوثنية التي كانت ستتقبل الاسلام بسهولة لو وجدت من يدعو أو يحسن الدعوة».

عضويتها على الشباب والطلبة، وبالفعل فان الاضطرابات التي شهدتها الساحة في جنوب افريقيا كانت قد انطلقت في بدايتها من حصون الطلبة وذلك احتجاجا على السياسة التعليمية.

فقد كانت بداية الانتفاضة في عام ١٩٧٦ من قبل الطلبة، عندما خرجوا للاحتجاج ضد إستخدام اللغة الافريكانية في المدارس. كما أن الطلبة أنفسهم هم الذين فجروا الثورة ضد النظام العنصري في جنوب افريقيا قبل عشرين شهرا، آحتجاجا على الجور والسياسة الظالمة في التعليم والتي تشكل جزءا من السياسة العنصرية الاستبدادية. وفي هذا الصدد اعترف الشيخ عبد الحميد خيبر بأن الجيل السابق من المسلمين لم يكن نشطا وفعالا بالدرجة الملحوظة، لأنه كان منهمكا في تحصيل الرزق. كما أن ارتفاع نسبة الجهل والأمية بينهم كان من أسباب تقاعسهم، وأضاف: «لا ننسى أن معظم الذين أحضروا من أندونيسيا كانوا من العمال للعمل في مزارع المستعمرين البيض، ولذا استمروا على جهلهم حتى وقت ليس ببعيد. وفي الحقيقة أن هذا التقاعس انعكس كذلك على الدعوة الاسلامية، لأنه كان الأجدر بالمسلمين أن يسرعوا بالدعوة للاسلام بين القبائل الوثنية التي كانت ستتقبل الاسلام بسهولة لو وجدت من يدعو أو يحسن الدعوة».

متى جاء المسلمون إلى جنوب افريقيا؟

جاء أول المسلمين إلى جنوب افريقيا

عام ١٦٥٥م وذلك عندما بدأت سلطات الاستعمار الهولندي في اندونيسيا تنفيهم إلى جنوب افريقيا، ويعتبر الشيخ توان يوسف أول هؤلاء الزعماء. أما الهنود فقد جاؤوا عام ١٨٨٠م وقد تعاظم المجتمع الاسلامي في منطقة الكاب حتى أصبح عددهم في منطقة اثلون الآن حوالي ٣٠٠ الفا. وقد بنوا المساجد ليصبح عددها الآن ٨٢ مسجدا في الكاب وحدها. (هناك احصائية تقول أن ٣٠٠ مسجد موجود في جميع انحاء جنوب افريقيا)، وهناك مدارس اسلامية يتعلم فيها أولاد المسلمين بعد تخرجهم من المدارس الرسمية، فيتلقون مبادىء الدين والفقه والتاريخ الاسلامي، كما اقيمت جمعيات للدعوة الاسلامية مؤخرا، وهي تزاول عملها بين الافارقة والمسلمين على حد سواء، وذلك بالقاء المحاضرات الاسلامية في المساجد وأماكن أخرى متعددة، وهناك إدارة لرعاية الشباب، بالاضافة إلى المحاكم الشرعية، كما أن هناك إدارة لمراقبة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

خيبر البلدان الاسلامية التي لها أرصدة مالية في بنوك تتعامل مع جنوب افريقيا أن تسحب تلك الارصدة، لأنها تقدم إلى نظام الحكومة العنصرية فتستخدم ضد سكان البلاد السود أصحاب الحق الشرعي.

وأشار إلى الادعاء بأن المقاطعة الاقتصادية تضر بالمجتمع الأسود، فقال إن هذا الادعاء غير صحيح، لأن الذي يضر هو القروض الطويلة الأجل التي تستخدم في بناء القاعدة الاقتصادية الدائمة من مصانع ومشاريع حديثة، وهذه تضر بالعامل الاسود أو الملون، لأن استخدام الآلات الحديثة في كل الأعمال يعني الاستغناء عن العمال السود الافارقة، مما يلحق الضرر بهم، فتزيد البطالة بينهم. أما القروض القصيرة الأجل فانها اكثر ضرراً للاغلبية السوداء، لأنها تمد الحكومة والرجل الأبيض بالقوة التي تتيح له مقاومة مطالب المجتمع الاسود في جنوب افريقيا.

بدأت هولندا محاولاتها الاستعمارية ضد السود في القرن السادس عشر وذلك باحتلال أندونيسيا عام ١٥٩٥م ومن ثم تحويلها إلى جزء من هولندا عام ١٦٢٢م. وكان أول قدوم للاستعمار الأوروبي إلى جنوب افريقيا عن طريق الهولنديين في عام ١٦٥٥، وحتى القرن الثامن عشر كان عددهم لا يتجاوز الفين من الهولنديين. وكما أن الصراع إحتدم ما بين بريطانيا وهولندا في أجزاء أخرى من العالم على المستعمرات، فقد امتد إلى جنوبي افريقيا لتصبح منطقة الكاب تحت السيطرة البريطانية عام ١٨١٤، وفي غضون سبع سنوات وصل عدد الرعايا البريطانيين في المنطقة إلى ٥٠٠٠ شخص.

وفي عام ١٨٧٧ احتل الانجليز مقاطعة (ثرانسفال) وتنازل عنها الهولنديون رسميا عام ١٨٨١، ومع ذلك لم تتراجع هولندا كليا، بل بقيت تتحين الفرصة لتنشب في عام ١٨٩٩ حرب البوير التي انتهت بهزيمة الهولنديين على يد الانجليز عام ١٩٠٢، وفي عام ١٩١٠ برز ما يعرف باتحاد جنوب افريقيا، وقد انتهج خطا موالياً لبريطانيا، وتحالف مع بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى. وكان هناك حزبان في ذلك الوقت الاتحادي والوطني. وفي الوقت الذي كان الأول يدعو إلى انتهاج سياسة عنصرية ليبرالية كان الثاني يطالب بالانفصال عن مجموعة الكومنولث وممارسة سياسة عنصرية صارمة.

وفي عام ١٩٤٥، أصبحت جنوب افريقيا عضواً في الأمم المتحدة إلا أنها رفضت التوقيع على الاعلان العالمي لحقوق الانسان.

ومع وصول الحزب الوطني إلى الحكم في عام ١٩٤٨ اشتدت الاجراءات العنصرية ضد السود والملونين والآسيويين. وجدير بالذكر أن الحزب الوطني يتكون من الافريكان من

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الاصل الهولندي ولايزال هو الحاكم حتى الوقت الراهن. وفي ٣١/٥/١٩٦١م أعلن قيام جمهورية جنوب افريقيا وانفصالها عن الكومنولث.

في عام ١٩٦٣ اغتيل رئيس الوزراء هـ. ف. فيرورد وخلفه بالتهازير موريسهتر الذي كان يطالب باجراءات عنصرية صارمة.

حاولت البلدان الافريقية طرد جنوب افريقيا عام ١٩٧٤ من الأمم المتحدة إلا أن الفيتو الأمريكي والبريطاني والفرنسي اسقط المحاولة، إلا انها

نجحت في طردها من الجمعية العمومية وبقي مقعدها شاغرا حتى الوقت الراهن. وكما ذكرنا من قبل، لقد بدا الكفاح ضد الاستعمار العنصري منذ القرن الـ ١٧ ولكنه تبلور بشكل واضح واتسم بالعنف خلال هذا القرن، وبالذات في الستينات، واستمر حتى الوقت الحاضر. وهناك جبهتان تتزعمان النضال ضد الحكم العنصري في البلاد: الجبهة الديمقراطية المتحدة، وهي محظورة، ولكنها أقل كفاحاً من حزب المؤتمر الوطني الافريقي الذي تأسس عام ١٩١٢ ويتزعمه نيلسون مانديلا الذي يقضي منذ عشرين سنة عقوبة السجن المؤبد في سجن بولسمور. وفي الوقت الذي ترفض فيه حكومة بريتوريا العنصرية التفاوض مع الجبهة الديمقراطية المتحدة التي تضم تحت لوائها معظم قطاعات الشعب الافريقي، فإن قناعة حزب المؤتمر الوطني الافريقي تزداد بأن القوة هي أقصر السبل إلى تحقيق تطلعات شعب جنوب افريقيا.

كلمة أخيرة

يتبين واضحا أن الانظمة الاستعمارية الغربية هي السبب الرئيسي في قيام هذا الكيان العنصري، تماما كما انها هي التي أوجدت الكيان الصهيوني في فلسطين، فقد بدأت هولندا بـ ٢٠٠٠ شخص ثم تلتها بريطانيا بـ ٥٠٠٠ شخص، وهم البذرة التي زرعتها القوة الاستعمارية لتطرح هذا الكم الهائل من البيض في جنوب افريقيا، ومعهم تتعاظم وتزداد ضراوة نظام مرعب اسمه النظام العنصري.

لقد تحول البيض من ٧٠٠٠ شخص في القرن الـ ١٨ إلى حوالي خمسة ملايين حسب احصائية عام ١٩٨٣م. ومع ذلك فانه لولا مساندة القوى الاستعمارية لما أمكن لخمسة ملايين أن يتحكموا بمصير ٢٦ مليوناً من السود والملونين، وتكون لهم السيطرة على ٨٩٪ من التجارة والدخل والصناعات الثقيلة والخفيفة، وعلى ٨٧٪ من الأراضي، وأن يكون معدل ما ينفق على تعليم البيض ٦٦٠ راندا، مقابل ٧٠ راندا للأسود، و١٨٠ راندا للملون و١٥٠ راندا للهندي، هذا ناهيك عن استعماره بالقوة والعجرفة لجنوبي غربي افريقيا (ناميبيا) منذ بداية القرن الحالي وعدوانه المتكرر على البلدان المجاورة.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

تعاظم المجتمع الاسلامي في منطقة الكاب حتى اصبح عددهم في منطقة اثلون الآن حوالي ٣٠٠ الفا. وقد بنوا المساجد ليصبح عددها الآن ٨٢ مسجداً في الكاب وحدها. (هناك احصائية تقول أن ٣٠٠ مسجد موجود في جميع انحاء جنوب افريقيا)، وهناك مدارس اسلامية يتعلم فيها اولاد المسلمين بعد تخرجهم من المدارس الرسمية، فيتلقون مبادىء الدين والفقه والتاريخ الاسلامي، كما اقيمت جمعيات للدعوة الاسلامية مؤخرا، وهي تزاول عملها بين الافارقة والمسلمين على حد سواء، وذلك بالقاء المحاضرات الاسلامية في المساجد واماكن أخرى متعددة، وهناك إدارة لرعاية الشباب، بالاضافة إلى المحاكم الشرعية، كما أن هناك إدارة لمراقبة الأكل وتبيان الحلال منه.

وقد توجه الشيخ خيبر بنداء إلى الأمة الاسلامية لمساندة نضال المسلمين في جنوب افريقيا، وكذلك نضال السود هناك، لانه نضال عادل ضد مغتصب ظالم، وطالب كذلك بارسال الوفود الاسلامية لأن حضورها إلى جنوب إفريقيا سيعزز من العلاقات بين البلدان الاسلامية والمجتمع الافريقي في جنوب افريقيا، وأشار إلى أن الوجود المسيحي دائم في جنوب افريقيا، وذلك ما يجعل افراد المجتمع الاسود يعتقدون ان المجتمع المسيحي يناصرهم، بينما يعتقدون ان البلدان الاسلامية لا تساندهم ولا حتى تشعر بقضيتهم.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

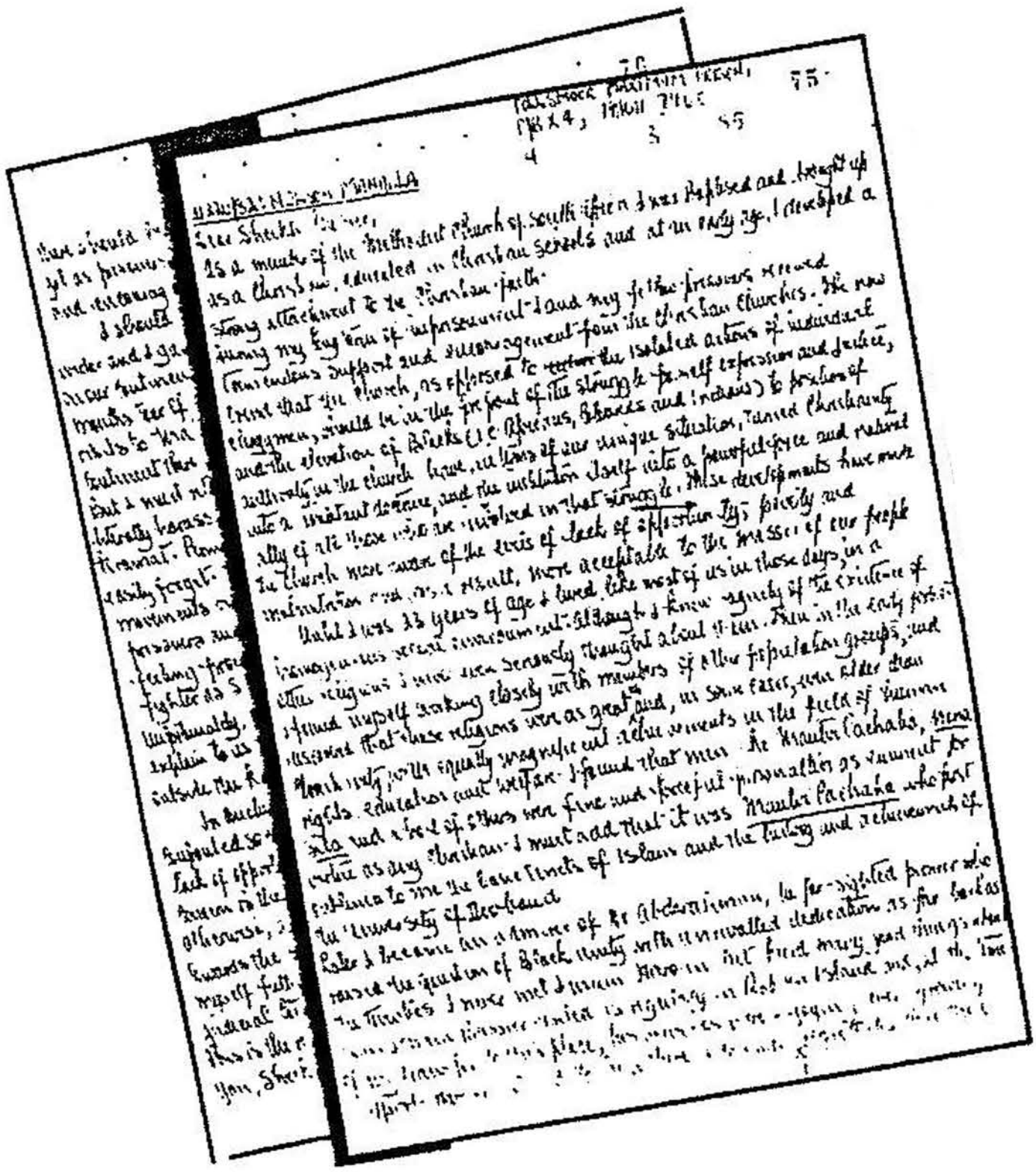

صورة رسالة بعث بها الزعيم الافريقي نيلسون منديلا في عام ١٩٨٢ إلى الشيخ خيبر، يشير فيها إلى عظمة الاسلام وتاثيره على القارة الافريقية. ويقول إنه اكتشف هذه الظاهرة لدى جولته في عام ١٩٦٢ في بلدان شمال افريقيا. كما يتحدث فيها عن نضال المسلمين في جنوب افريقيا وكيف انهم قدموا الضحايا ودخلوا السجون.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية